عبد الواحد بن محمد المغربي
سيرته وأثار الطبية

الباحثة/ ناهد محمد محمد إسماعيل

الملخص:

مما لا شك فيه أن علم الطب من أهم العلوم التي حظيت باهتمام العرب وعنايتهم، لأن هذا العلم علم دنيوي يحتاجه أبناء الأمة جمعاء، فالإسلام حرص على بناء مجتمع سليم معافى على المستويين الجسدي والنفسي لكى يتمتع أفراده بالعافية والقوة، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ بقوله: " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" وقال أيضاً ﷺ: "ياعباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء"

فالطب من أشرف العلوم بعد علوم الشريعة، وأتقنها بعد العلوم المتلقاه عن الوحى، حتى أن ابن أبى حاتم الرازي قد روى عن الأمام الشافعي أنه قال: " إنما العلم علمان: علم الدين، وعلم الدنيا، فالعلم الذى للدين هو: الفقه، والعلم الذى للدنيا هو: الطب"

وكان للمسلمين إسهامات بارزة على مدار حضارتهم الزاهرة، ولم يقتصر إبداع المسلمين في العلوم الطبية على علاج الأمراض فحسب بل تعداه إلى تأسيس منهج تجريبي أصيل انعكست آثاره الراقية والرائعة على جميع جوانب الممارسة الطبية وقاية وعلاجاً، وممن كتب في الطب (عبد الواحد بن محمد المغربي المالكي نزيل دمشق الطبيب في البيمارستانات النوري المتوفي سنة ٩٤٤ه أربع وأربعين وتسعمائة /١٥٣٧م، له تحفة المحب في صناعة الطب، وعقد الجمان في من ولى البيمارستانات) ، وهو صاحب المخطوط موضوع الدراسة وهو مخطوط" تحفة المحب فى صناعة الطب"، وهذا المخطوط كما قال عنه مؤلفه: (فهذه رسالة طبية وعجالة علمية سميتها " تحفة المحب في صناعة الطب" تشتمل على خمس مقالات)

قسم المؤلف المخطوط إلى خمس مقالات، والمقالة إلى عدة أبواب، وفى بعض الأحيان يقسم الباب إلى عدة فصول على حسب ما تقتضيه المسألة العلمية التي يتحدث عنها، ولكنه ورغم ذلك كان يذكر مختصراً عن كل مسألة ولم يتوسع في الحديث عنها، وقد ذكر المؤلف هذا بنفسه عندما قال: (وعندي في نهيه نظر من وجوه لا يحتمل ذكرها هذا المختصر)

Summary:

There is no doubt that medical science is one of the most important sciences that has received the attention and care of the Arabs, because this science is a worldly science that the people of the entire nation need. Islam was keen on building a healthy and healthy society on both the physical and psychological levels so that its members can enjoy wellness and strength, and this is what the Prophet, peace and blessings of God be upon him, urged by saying: "A strong believer is better and more beloved to God than a weak believer." And he, peace and blessings of God be upon him, also said: "O servants of God, seek treatment, for God has not created a disease without creating a cure for it".

Medicine is one of the most honorable sciences after the sciences of Sharia law, and its mastery after the sciences received from revelation, so much so that Ibn Abi Hatim al-Razi narrated on the authority of Imam al-Shafi'i that he said: "Knowledge is only two sciences: the science of religion and the science of the world. The science that is for religion is: jurisprudence, and the science that is for this world." is: medicine

Muslims had prominent contributions throughout their prosperous civilization, and Muslim creativity in medical sciences was not limited to treating diseases only, but also went beyond establishing an original experimental method whose sophisticated and wonderful effects were reflected in all aspects of medical practice, prevention and treatment, and among those who wrote about medicine (Abdul Wahid bin Muhammad Al-Mughrabi Al-Maliki The resident of Damascus, the doctor in the Bimaristanat, Al-Nuri, who died in the year ٩٤٤ AH nine hundred and forty-four / ١٥٣٧ AD, has "Tuhfat al-Muhib fi the Industry of Medicine," and "Aqd al-Juman fi Who is the Guardian of the Bimaristanat." He is the author of the manuscript that is the subject of the study, which is the manuscript "Tuhfat al-Muhib fi the Industry of Medicine," and this manuscript is as he said about it. Its author: (This is a medical treatise and scientific treatise that I called "The Lover's Masterpiece in the Medical Industry," which includes five articles(

The author divided the manuscript into five articles, and the article into several sections, and sometimes he divided the section into several chapters as required by the scientific issue he was talking about. However, despite this, he briefly mentioned each issue and did not elaborate on it, and the author mentioned this himself. When he said: (And I have considerations regarding his prohibition from several aspects that cannot be mentioned in this summary

عصر المؤلف ومدى تأثيره على شخصية المؤلف:

عاصر المؤلف نهاية القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري وهذه الفترة لم تعد من العصر الذهبي لعلوم المسلمين بل هذه الفترة هي نهاية العصور الوسطى والذي بدأ فيها ظهور بعض الأوبئة التي لم يستطيع الأطباء حينئذ التعامل معها بشكل جيد، ففي هذه الفترة بدأ تراجع علماء المسلمين عن المكانة التي سبق لهم أن وصلوا إليها في مختلف العلوم فكان يوازي فترة ازدهار المسلمين علمياً فترة العصور المظلمة لدى الدول الأوربية، وبنهاية العصور الوسطى بدأ تخلف المسلمين عن ركب الحضارة فى حين أنه بدأ ظهور عصر النهضة في الدول الأوربية ولعل هذا كان داعياً للمؤلف على تأليف هذا المخطوط محاولة منه لإحياء بعض المبادئ التي أرساها القدماء من علما الطب في العصر الذهبي للإسلام فنجد أن المؤلف اتخذ نهج ابن سينا[١] في تقسيم رسالته ولكن بشئ من الاختصار وكذلك رجع في كثير من مواضع وصفه لحالة المريض وكيفية العلاج لما ذكره ابن سينا في كتابه القانون في الطب، ولكن تناول المؤلف عرض مخطوطه بشئ من البساطة والوضوح على عكس كتب الأولين وهذا لأننا نلاحظ أن أغلب الأطباء في العصور الأولى كانوا موسوعين بمعنى أنهم كانوا أطباء وفلاسفة وقد ظهرت عندهم النزعة الفلسفية في كتاباتهم في الطب ولكن لم تظهر هذه النزعة الفلسفية في كتب المتأخرين ومنهم المؤلف.

ثانيا: " تحفة المحب فى صناعة الطب"

دراسة عنوان المخطوط، وإثبات نسبته إلى مؤلفه:

ذكر عنوان المخطوط " تحفة المحب في صناعة الطب " في مطلع النسخة (أ) وهي نسخة مكتبة نور عثمانية والتى اعتمدتها النسخة الأم لما تميزت به هذه النسخة عن باقي النسخ، وقد جاء فى هذه النسخة (أما بعد فهذه رسالة طبية وعجالة علمية سميتها تحفة المحب في صناعة الطب)[٢].

(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا: هو أبو على الحسين بن عبد الله بن على بدر سينا، وهو إن كان أشهر من أن يذكر، وفضائله أظهر من أن تسطر، فإنه قد ذكر من أحواله ووصف من سيرته ما يغنى غيره عن وصفه. ولذلك أننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه، نقله عنه أبو عبيد الجوجزانى، قال، قال: الشيخ الرئيس أن أبى كان رجلاً من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى فى أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف، وتولى العمل فى أثناء أيامه بقرية قال لها خرميثن من ضياع بخارى وهى من أمهات القرى، وبقربها قرية يقال لها أفشنة، وتزوج أبى منها بوالدتى وقطن بها وسكن، وولدت منها بها ثم ولدت أخى، ثم انتقلنا إلى بخارى وحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب. (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء/ ابن أبى أصيبعة، ت:٦٨٨هـ/ تحقيق عامر النجار/ دار المعارف/ ط١، ١٩٩٦م/ ٥٣٠)

(١) أ/ل٢

أما اسم المؤلف فقد ذكر في أول النسخة (قال الفقير عبد الواحد بن محمد المغربي لطف الله تعالى به وبجميع المؤمنين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً)[١].

ومن الكتب التي ذكرت نسبة المخطوط الى مؤلفه عبد الواحد بن محمد المغربي كتاب هدية العارفين وقد جاء فيه : (عبد الواحد بن محمد المغربي المالكي نزيل دمشق الطبيب في المارستان النوري المتوفي سنة ٩٤٤ه أربع وأربعين وتسعمائة /١٥٣٧م. له تحفة المحب في صناعة الطب، وعقد الجمان في من ولى البيمارستان)[٢]، وقد جاء في كتاب إيضاح المكنون: (تحفة المحب للشيخ عبد الواحد بن محمد المغربي المتوفي سنة ٩٤٤ أربع وأربعين وتسعمائة)[٣]، وفي معجم المؤلفين: (عبد الواحد المغربي(٠٠٠- ٩٤٤ه/ ٠٠٠- ١٥٣٧م) عبد الواحد بن محمد المغربي المالكي. طبيب. ولى الطبابة في البيمارستانات النوري بدمشق. ومن آثاره: تحفة المحب في صناعة الطب، وعصد الجمان فيما يلزم من ولى البيمارستانات)[٤]

اعتمد تحقيق هذا المخطوط على ثلاثة نسخ وهي: نسخة (أ) وهي نسخة مكتبة نور عثمانية، ونسخة (ب) وهي نسخة مكتبة تركيا السليمانية، ونسخة (جـ) وهي نسخة مكتبة شهيد علي باشا، وبالبحث فقد وجدت نسخة رابعة لم أوفق في الحصول عليها، وهي نسخة موجودة في معهد المخطوطات العربية – جزء الطب – قسم الكتاب الأول – ص٤١، وقد ذكر في بداية هذه النسخة نسبة المخطوط إلى الشيخ بدر الدين القوصوني[٥] ، وبمراجعة وصف هذه النسخة تبين أنها بتاريخ نسخ ١١١٠ه ، وبمقارنة تاريخ نسخ هذا المخطوط بتاريخ نسخ مخطوط مكتبة نور عثمانية وهو ١٠٠٢ه، والذي جاء فيه نسبة المخطوط إلي الشيخ عبد الواحد بن محمد المغربي، بالإضافة إلى ما ذكر في كتاب "هدية العارفين" و "إيضاح المكنون" ومعجم المؤلفين فقد ترجح لدى نسبة المخطوط إلى الشيخ عبد الواحد بن محمد المغربي.

(٢) أ/ ل٢

(٣) هدية العارفين/ مجـ١/ ٦٣٦

(٤) إيضاح المكنون/ مجـ١/ ٢٥٧

(٥) معجم الؤلفين/ ٣٣٦

(١) بدر الدين محمد بن محمد القوصوني طبيب (....- ٩٣١ه/....- ١٥٢٥م)، توفي بمصر من تصانيفه: دستور البيمارستان، زاد المسير في علاج البواسير، كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة، المقالة في استعمال حجر البادزهر الحيواني، والدرة المنتخبة في الأدوية المجربة.(معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة/ مؤسسة الرسالة/ ط١، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م/ جـ٣/ ٦٦٨)

منهج المؤلف في مخطوطه:

بدأ المؤلف المخطوط بقوله: (قال الفقير عبد الواحد بن محمد المغربي لطف الله به وبجميع المؤمنين)[١] وفيه يظهر تواضع المؤلف وإنكار ذاته أمام عظمة الله سبحانه وتعالى، ثم يصلى ويسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ويتوجه في أول المخطوط بالحمد والشكر لله فيقول: (أحمد من أبدع مزاج الإنسان في أحسن تقويم، وأشكره شكراً يليق بجمال وجهه الكريم)[٢]، ثم ظهر وتجلي الجانب العقدي للمؤلف في قوله: (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الحلول والتجسيم، الحكيم في تدبيره، العليم في تقديره، القديم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المخصوص بكل خلق عظيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الوارقين جنة النعيم)[٣]، وذكر نوع الفن المقصود به المخطوط واسم المخطوط فقال: (فهذه رسالة طبية وعجالة علمية سميتها تحفة المحب في صناعة الطب)[٤].

قسم المؤلف هذه الرسالة إلى خمس مقالات وقسم كل مقالة إلى أبواب وفصول، وقد ذكر هذا التبويب إجمالاً في بداية المخطوط، ثم بدأ بالشرح التفصيلي لكل مقالة وما تحتويه من أبواب وفصول كلاً على حدا، وقد جاءت المقالة الأولى وفيها أربعة أبواب، الباب الأول: في حد الطب وموضوعه وفضله وأصله، وقد أوضح في هذا الباب تعريف الطب لغة واصطلاحاً، وبين أن موضعه بدن الآدمى وأصله الإلهام من الله سبحانه وتعالى، وأما في فضل الطب فقد استدل ببعض أحاديث الرسول ﷺ ولكنه لم يتحرى الدقة في ألفاظ الأحاديث، وقد خلط بين الحديث والأثر، كما نسب قول من أقوال الشافعي إلى الرسول ﷺ فقال:(وأما فضله فظاهر، وناهيك به شرفاً أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قدمه على علم الدين، حيث قال: " العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان "[٥])[٦]، ثم ختم هذا الباب بالحديث عن ما يجب أن يتحلى به الطبيب معلومات علمية طبية تجعله بارع في مجاله، وما يجب أن يتحلى به من أخلاق حميدة.

وفي الباب الثاني ذكر تعريف المزاج وعدده خمسة أمزجة وهي: المزاج المعتدل والمزاج الدموي والمزاج الصفروي والمزاج البلغمي والمزاج السوداوي، وفي الباب الثالث ذكر

(٢) أ/ ل٢، ب/ ل٢، جـ/ ل٢٨

(٣) أ/ ل٢، ب/ ل٢، جـ/ ل٢٨

(٤) أ/ ل٢، ب/ ل٢، جـ/ ل٢٨

(٥) أ/ ل٢، ب/ ل٢، جـ/ ل٢٨

(٥) (آداب الشافعي ومناقبه/ للرازى ت: ٣٢٧هـ/ دراسة وتحقيق أبى همام محمد بن على الصومعى البيضانى/ ٣٥٨).

(٦) أ/ ل٣، ب/ ل٣، جـ/ ل٢٩

علامة المعتدل من الامزجة وعلامة غيره، وفي الباب الرابع أوضح أنواع الامتلاء وعلامة كل نوع.

أما المقالة الثانية فتحدث فيها عن حفظ صحة مزاج الإنسان كله وقسم هذه المقالة إلى ست أبواب، الباب الأول: في حفظ صحته بتدبير الهواء

والباب الثاني في حفظ الصحة بتدبير الحركة والسكون وقسم الباب الثاني إلى فصلان، الفصل الأول في تدبير الحركة، والفصل الثاني في حفظ الصحة بتدبير السكون والحركات النفسانية

والباب الثالث في حفظ الصحة بتدبير الطعام والشراب، وقسم هذا الباب إلى فصلان، الفصل الأول في تدبير الطعام والفصل الثاني في تدبير الشراب

الباب الرابع في حفظ الصحة بتدبير النوم واليقظة وفيه فصلان ، الفصل الأول في تدبير النوم والفصل الثاني في تدبير اليقظة

الباب الخامس في حفظ الصحة بتدبير الاستفراغات الطبيعية واحتقانها وفيه ثمانية فصول، الفصل الأول في الفصد ومنافعه ومضاره والفصل الثاني في الإسهال ومنافعه ومضاره والفصل الثالث في القئ ومنافعه ومضاره والفصل الرابع في الاحتقان ومنافعه ومضاره والفصل الخامس في الجماع ومنافعه ومضاره والسادس في ذكر منافع الحمام ومضاره والفصل السابع في تدبير البراز والبول حالة الاحتباس والفصل الثامن في تدبير العرق والحيض حالة الاحتباس وعدمه.

أما المقالة الثالثة فهي في حفظ صحة مزاج كل عضو على حدته وفيها أربعة أبواب، الباب الأول وفيه أربعة فصول، الفصل الاول فى حفظ الرأس والشعر وما يتعلق به والفصل الثاني في حفظ الدماغ والفصل الثالث في حفظ البصر والفصل الرابع في حفظ السمع.

ثم الباب الثاني وفيه أربعة فصول، الفصل الأول في حفظ صحة الشم والفصل الثاني في حفظ صحة الفم وما احتوى عليه والفصل الثالث في حفظ الصدر والفصل الرابع في حفظ المعدة وفمها وذكر علاج ما يصعب من أمراضها وعلامات أمزجتها

ثم الباب الثالث وفيه أربعة فصول، الفصل الأول في حفظ صحة مزاج الكبد وعلامة أمزجته وذكر علاجه والفصل الثاني في حفظ صحة الطحال والفصل الثالث في حفظ القلب والنفس وعلامة أمزجة القلب وذكر علاج ما يصعب من أمراضه والفصل الرابع في حفظ المرارة.

ثم الباب الرابع وفيه خمسة فصول، الفصل الأول في حفظ الأمعاء وذكر علاج ما يعسر من أمراضها من الزحير والإسهال والسحج والفصل الثاني في حفظ الكلا وذكر علاج ما يصعب من أمراضها والفصل الثالث في حفظ صحة المثانة وذكر علاج ما يصعب من أمراضها والفصل الرابع في حفظ صحة الأنثيين وذكر علاج ما يصعب من أمراضها وذكر فوائد تتعلق بتقوية الباه والفصل الخامس في حفظ صحة المقورة وذكر علاج ما يصعب من أمراضها وهو مرض البواسير.

أما المقالة الرابعة فهي في علاج الأمراض جملة وفيها أربعة أبواب. الباب الأول وفيه ثلاث فصول، الفصل الأول في تعريف المرض وأقسامه والفصل الثاني في ذكر أسباب المرض والفصل الثالث في ذكر الأحوال المنذرة بالمرض.

والباب الثاني وفيه فصلان، الفصل الأول في ذكر كلمات من وصايا الحكماء والأطباء والفصل الثاني في ذكر الحمية.

الباب الثالث في ذكر العلاج وفيه خمسة فصول، الفصل الأول في ذكر أصول العلاج والفصل الثاني في ذكر علاج غالب العلل الدموية والفصل الثالث في ذكر علاج غالب العلل الصفراوية والفصل في علاج غالب العلل البلغمية والفصل الخامس في ذكر علاج غالب العلل السوداوية.

وأخر الرسالة وهي المقالة الخامسة في ذكر جمل الأدوية المركبة وتشمل على ستة أبواب. الباب الأول في ذكر المغالي المنضجة والباب الثاني في ذكر النقوعات والباب الثالث في ذكر الأشربة والباب الرابع في ذكر المطابيخ المسهلة والباب الخامس في ذكر المعاجين والباب السادس في ذكر السفوفات والحبوب والحقن.

وقد يتضح من هذا التقسيم تأثر المؤلف بالشيخ الرئيس ابن سينا، فقسم المؤلف رسالته بنفس تقسيم ابن سينا في كتابه القانون في الطب ولكن لم يكن بنفس التوسع الذي اتبعه ابن سينا في كتابه، فبدأ المؤلف الرسالة بتعريف الطب وبيان فضله وإباحة التداوي وذكر موضوعاته وهذا ما بدأ به ابن سينا كتابه القانون في الطب ثم ذكر تعريف المزاج وأنواعه ومدى تأثير الأمور الطبيعية من حركة وسكون وطعام وشراب ونوم ويقظة على كل نوع من هذه الأمزجة، ثم الحديث عن كيفية تدبير الاستفراغات الطبيعية من فصد وإسهال وقيء وجماع وبول وبراز وعرق وحيض وذكر كيفية حفظ صحة مزاج كل عضو على حدته، ثم تعريف المرض وكيفية العلاج لكثير من الأمراض ثم ختم الرسالة بالحديث عن الأدوية المركبة والترياقات والمعاجين والاريارجات لكثير من السفوفات، وقد ختم ابن سينا أيضاً كتابه بالحديث عن الأدوية المركبة والترياقات والمعاجين والسفوفات، ولكن تميزت

رسالة المؤلف بالاختصار كما ذكر المؤلف في بداية الرسالة حينما قال: (فهذه رسالة طبية وعجالة علمية سميتها تحفة المحب في صناعة الطب)[1]، وذكر أيضاً في بعض المواضع من الرسالة أن هذه الرسالة مختصر وليس تفصيل لما ذكر فيها من عناوين فقال: (وعندي فى نهيه نظر من وجوه لا يحتمل ذكرها هذا المختصر)[2].

وعلى الرغم من أن المؤلف ذكر أن هذه الرسالة ما هى إلا رسالة مختصرة إلا أن المؤلف استطاع من خلالها توضيح ما يحتويه كل عنوان من عناوين المقالات والأبواب والفصول التي احتوتها هذه الرسالة فنلاحظ قدرته على وصف حالة كل مزاج من أمزجة الانسان على حدا وأثر اعتدال هذه الأمزجة على الصحة العامة وأيضاً دقته في وصف أحوال المريض والعوامل المؤثرة على كل مريض من نوع الطعام الذي يتناوله والطقس الذي يعيش فيه وكيفية تدبيره للنوم واليقظة وأيضاً اختلاف الأعراض والعلاج على حسب سن المريض.

ومما يؤخذ على المؤلف أنه أكثر من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة وخالط بين الحديث والاثر، وأخطأ كثير في أسماء النباتات المذكورة فى الرسالة وقد تم التصحيح بالرجوع إلى معاجم النباتات، كما أنه لم يتحرى الدقة في كثير من النقولات.

وقد ختم المؤلف الرسالة بقوله: (ونسأل الله تعالى أن يجعل الله هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يديم النفع بها لسائر المسلمين، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ووالديهم ولمن كان سبباً فى تأليفها ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين)[3].

وقد ذكر توقيت نسخ هذه النسخة فقيل: (وكان الفراغ من كتابتها عند الضحى فى يوم الخميس من شهر جمادى الآخر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة فى بلد دمياط على يد العبد الفقير إلى الله الغنى الحاج مراد بن عبد الغنى، غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموت، برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين في ٣ شهر ربيع الآخر سنة اثنا وألف رحم الله لمن دعا لكامن الحقيقة

الخط يبقى زماناً فى الكتاب وصاحب الخط رميم فى التراب)[4]

(١) أ/ ل٢، ب/ ل٢، جـ/ ل٢٨

(٢) ا/ ل٦٠، ب/ ل٤٥، جـ/ ل٧٤

(١) أ/ ل٦٥، ب/ ل٤٧، جـل٧٧

(٢) أ/ ل٦٥، ب/ ل٤٧، جـ/ ل٧٧

ثالثا: الطب عند المسلمين:

قبل مبعث الرسول ﷺ كانت ممارسة الطب فس الجزيرة العربية أكثر شيوعاً بين العرفين وفئة الممارسين المجربين؛ ففئة العرافين اعتمدت على التكهن بأسباب المرض وسره وعلاجه، والاستعانة بالنجوم والتعاويذ والرقى والسحر، وكان لكل قبيلة عراف يرجع إليه أفراد القبيلة فيما يصيبهم من أمراض وعلل وأحداث مختلفة، وكانوا ينزلونه منزلة الكاهن من حيث الاحترام والتقدير. أما فئة الممارسين المجربين فقد اعتمدت الأساس المادي في التطبيب، فكانت تزاول العلاج بالكي والفصد والحجامة والحمية والأعشاب الطبية(١)

وقد جاء الإسلام وقوم وعدل وطور ما اعتمدت علبه هاتان الفئتان في ممارستهما للطب، فحرم السحر والكهانة والعرافة، وحذر الناس منها، واعتبر السحرة والعرافين والكهان من الكافرين، وحث على التداوي والتطبب، وأعلى من شأن الممارسة الطبية القائمة على التجربة والقياس.

لم يقف المسلمون عند حدود ذلك الطب النبوي مع إيمانهم بنفعه وبركته، بل أدركوا منذ وقت مبكر أن العلوم الدنيوية تحتاج إلى دوام البحث والنظر والوقوف على ما عند الأمم الأخرى ، وعليه فقد أخذ أطباء المسلمين في التعرف على الطب اليوناني من خلال البلاد الإسلامية المفتوحة كما أن الخلفاء بدءوا يستقدمون الاطباء الروم الذين سرعان ما أخذ عنهم الأطباء المسلمون، ونشطوا في ترجمة كل ما وقع تحت أيديهم من مؤلفات طبية، ولعل هذا يعتبر من أعظم أحداث العصر الأموي.

فإنه ما إن استقرت الخلافة الأموية وازدهرت سياسياً واقتصادياً، وورثت علوم الأعاجم من الفرس والروم وغيرهم بعد انهيار دولهم، حتى كان الاتجاه إلى الحركة الفكرية، فقد عرف العرب في العصر الأموي مدرسة الأسكندرية القديمة فترجمت كثير من كتب الحضارات السابقة من إغريقية وفارسية وغيرها، ونقلت ذخائرها في العلوم إلى العربية، لتعتبر حدثاً مهماً من الناحية الحضارية لأنها فتحت نافذة أشرف منها العلماء العرب والمسلمون لأول مرة على ما لدى غيرهم من علوم ومعارف، وقد نالت العلوم التجريبية نصيباً مهماً من بين هذه العلوم المترجمة، وكان على رأسها جميهاً الطب، وبدأ العرب في التعرف على الطب اليوناني وكان اتجاههم إلى ترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية(٢).

(١) الطب عند العرب والمسلمين/ د محمود الحاج قاسم/ دار السعودية للنشر والتوزيع/ ط١، ١٩٨٧م/ ٤٧)

(٢) قصة العلوم الطبية/ ٣٢

وما إن جاء العصر العباسي حتى كان لأطباء المسلمين معارف طبية خاصة بهم، وما ذلك إلا لأنهم لم يقنعوا بما حصلوا عليه من الحضارات السابقة لهم خلال الترجمة الدقيقة.

فما أن جاء عام ٩٠٠م حتى كانت كل كتب أبقراط[١] وجالينوس[٢] مترجمة كلها إلى العربية، وقد ترجم أهم ما تبقى من المجموعة الأبقراطية ككتاب الفصل في سبع مقالات، وكتاب البلدان والمياه والأهوية، والأمراض الحادة أو الوافدة، ومقدمة المعرفة، والأركان، والأخلاط، وطبيعة الإنسان والأزمنة، كما اهتم العرب بترجمة مؤلفات جالينوس اهتماماً كبيراً، وكانت كتب جالينوس في الطب من العمد الرئيسية عند الرازي[٣] وابن سينا وابن النفيس[٤]، ولعل أهم بواعث الترجمة والنقل في الأسلام هي رعاية الخلفاء العباسيين للترجمة فقد كان بعض الخلفاء يدفعون للناقل ثقل الكتاب المنقول ذهباً، كما أن الدولة العباسية كانت تعتبر أن العلم والترجمة في العصر العباسي من مظاهر التقدم الحضاري والثقافي والعمراني للدولة العباسية أيان قوتها وازدهارها[٥]

ومن المبتكرات الطبية لأطباء المسلمين من أمثال ابن سينا والرازي أنهم هم أول من شرح الحصبة[٦] والجدري[٧] وداء الفيل[٨]، وشرحوا في كتبهم كثير من الآفات والظواهر التي يتعرض لها الجلد، ولهم شروح كثيرة في البثور المخصوصة ببعض البلاد، وببعض الأشكال، وفي التلونات الجلدية، وآفات الشعر والأظفار، ويسجل لهم التاريخ أنهم أول من وصفوا بعض الأمراض المعدية وصفاً دقيقاً، وأنهم أول من فرقوا بين أنواع الألتهابات، وأول من فطنوا إلى مرض الجدري ومرض الحصبة وفرقوا بينهما.[٩]

---

(١) أبقراط: هو السابع من الأطباء الكبار المذكورين، الذين اسقليبيوس أولهم. تعلم صناعة الطب من أبيه إيرقليدس، ومن جده أبقراط. وكانت من حياة أبقراط خمساً وتسعين سنة، منها صبى ومتعلم ست عشرة سنة وعالم تسعاً وسبعين سنة.ولد فى جزيرة كوس حوالى سنة٤٠٠ق. م، وتوفى فى لاريسا عام٣٧٥ق. م، ويعرف بأبى الطب ومجمل نظريته عن المرض؛ أن الجسم يحتوى على أربعة أخلاط:الدم والبلغم والسوداء والصفراء، وأن علاقة بعض هذه الأخلاط ببعض تقرر صحة المرء ومزاجه. (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء/ ابن أبى أصيبعة، ت:٦٨٨ه/ تحقيق د نزار رضا/ دار مكتبة الحياة بيروت/ ٤٣)

(٢) جالينوس: إن الذى قد علم من حال جالينوس واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام فى كثير من الأمم أنه كان خاتم الاطباء الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، وأنه ليس بدانيه أحد فى صناعة الطب فضلاً عن أن يساويه، وذلك لأنه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين وانمحت محاسنها فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك، وأيد وشيد كلام أبقراط وآراءه وآراء لتابعين له ونصر ذلك، وصنف فى ذلك كتب كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة، وكانت مدة حياة جالينوس سبعاً وثمانين سنة، منها صبى ومتعلم سبع عشرة سنة، وعالم معلم سبعين سنة.(المصدر السابق/ ١٠٩)

(٣) الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. مولده ومنشؤه بالري، وسافر إلى بغداد وأقام بها مدة، وكان قدومه إلى بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة، وكان من صغره مشتهياً للعلوم العقلية مشتغلاً بها وبعلم الأدب، وأما صناعة الطب فإنما تعلمها وقد كبر، وكان المعلم له في ذلك علي بن ربن الطبري.(المصدر السابق/٤١٤)

(٤) ابن النفيس: هو علاء الدين بن النفيس القرشي الدمشقي ولد بدمشق في حكم الأيوبين حوالي سنة ٦٠٧ه- ١٢١٠مـ، أثناء ولاية العادل سيف الدين لدمشق الذي وليها حوالي سنة ٥٩٥ه- ١١٩٩م، توفي عن نحو ثمانين سنة قرابة سنة ٦٨٧ه- ١٢٨٨م، وقد وفد إلى القاهرة في عهد الكامل محمد الايوبي.(في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية/ د عامر النجار/ دار المعارف/ ط٣، ١٩٩٤م ١٤٦)

(٥) المصدر السابق/ ٦٤

(١) الحصبة: حمى حادة طفحية معدية يصحبها زكام وسعال وغيرهما من علامات النزلة.(معجم المصطلحات العلمية والفنية/ إعداد يوسف خياط/ دار لسان العرب بيروت/ ١٦٦)

(٢) الجدري: حمى حادة معدية يميزها طفح يتقيح يعقبه نقر.(المصدر السابق/ ١١٣)

(٣) داء الفيل: هو ان تتورم الساق كلها وتعظم.(معجم المصطلحات العلمية العربية/ الكندى والفارابى والخوارزمى وابن سينا والغزالى/ دار الفكر المعاصر بيروت/ ط١، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م/ ٢٠١)

(٤) تطور الفكر العلمي عند المسلمين/ د محمد الصادق عفيفي/ مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٦م- ١٩٧٧م/ ١٧٨)

وأطباء العرب هم أول من استخدم صب الماء علاجاً للنزيف، وهم أول من فرقوا بين المغص المعوي والمغص الكلوي، وكان ذلك على يد ابن سينا، وهو أول من وجهوا النظر إلى أشكال الأظافر عند المصابين بمرض السل[١] الرئوي، وهم أول من نسبوا مرض البواسير[٢] إلى الإمساك الناجم عن قميص المعدة، وأشاروا على المصاب به أن يأكل الأطعمة النباتية، ويعد الرازي أول من قرر أن المرض قد يكون وراثياً، والطبري الطبيب العربي أول من كشف جرثومة داء الجرب[٣]، وقد عرفوا الجمرة الخبيثة[٤]، وكانوا يسمونها "النار الفارسية"[٥].

والحقيقة أنه لولا أطباء العرب والمسلمين الذين بذلوا جهوداً عظيمة في ترجمة كنوز الحضارات السابقة لهم من يونانية وفارسية وهندية، لصارت هذه الكنوز طعماً سائغاً للحشرات وأنواع الهوام والنيران لأن معظم هذه الكنوز كانت حبيسة الكهوف والمغارات وزوايا النسيان في بعض المخازن[٦]

(٥) السل: أنينتقص لحم الإنسان بعد سعال مزمن ونفث شديد ومعنى المزمن العتيق.(مفاتيح العلوم/ الخوارزمي/ عني بتصحيحه ونشره للمرة الأولى سنة ١٣٤٢م/ إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة الشرق/ ٩٧)

(٦) البواسير: هي لحوم زائدة تنبت، فربما كانت لحوماً رخوة بيضاء ولا وجع معها، وهذه أسهل علاجاً، وربما كانت حمراء، وكمدة شديدة الوجع، وهذه أصعب علاجاً، لاسيما إذا كان يسيل منها صديد منتن.(القانون في الطب/ ابن سينا ت ٤٨٢ه/ وضع حواشيه محمد أمين الضناوي/ دار الكتب العلمية بيروت/ ط١، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م/ جـ٢/ ٢٤٨).

(٧) الجرب:المادة التي يتولد عنها الجرب أما مادة دموية تخالط صفراء تكاد أن تستحيل سوداء، أو استحال شطر منها سوداء، وأما مادة تخالط بلغماً مالحاً، فالأول جرب يابس ومادته يابسة إلى الغلظ، والآخر جرب رطب مادته رطبة إلى الرقة، وأكثر ما يتولد عن تناول الملوحات والحرافات والتوابل الحارة ونحوها.(المصدر السابق/ جـ٣/ ٣٧١)

(٨)الجمرة الخبيثة: مرض معد قتال يصيب الخيل والبقر والضأن وغيرها وسببه العصيات الجمرية.(معجم المصطلحات العلمية والفنية/ ١٢٨)

(٩) النار الفارسية: نفاخات ممتلئة ماءاً رقيقاً تخرج بعد حكة ولهيب.(مفاتيح العلوم/ ٩٥)

(١) رواد علم الطب في الحضارة العربية والإسلامية/ علي بن عبد الله الدفاع/ مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م/ ٧٥

الخاتمة:

وقد ازدهر علم الطب على ذلك أيما ازدهار، وبنيت المستشفيات والجامعات الطبية، واشتهرت أسماء لامعة في الطب في حضارة المسلمين، ولم تأت إنجازات وإسهامات المسلمين المعروفة في مجالات الطب بصورة عشوائية غير مدروسة، وإنما كان هناك منهج واضح قاد إلى هذا المستوى الراقي في البحث، فقد استطاعوا تصحيح بعض الأخطاء من علماء سابقين تجاه نظريات بعينها، ومن ذلك ما كان من ابن النفيس حين عارض نظرية جالينوس الذى كان يقول بوجود ثقب في بطيني القلب الأيمن والأيسر، فصحح ابن النفيس هذا الخطأ ومنه ابتكر الدورة الدموية الصغرى

المصادر والمراجع:

١. (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء/ ابن أبى أصيبعة، ت:٦٨٨ه/ تحقيق عامر النجار/ دار المعارف/ ط١، ١٩٩٦م/ ٥٣٠)

٢. (معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة/ مؤسسة الرسالة/ ط١، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م/ جـ٣/ ٦٦٨)

٣. (آداب الشافعى ومناقبه/ للرازى ت: ٣٢٧ه/ دراسة وتحقيق أبى همام محمد بن على الصومعى البيضانى/ ٣٥٨).

٤. الطب عند العرب والمسلمين/ د محمود الحاج قاسم/ دار السعودية للنشر والتوزيع/ ط١، ١٩٨٧م/ ٤٧)

٥. (في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية/ د عامر النجار/ دار المعارف/ ط٣، ١٩٩٤م ١٤٦)

٦. معجم المصطلحات العلمية والفنية/ إعداد يوسف خياط/ دار لسان العرب بيروت/ ١٦٦)

٧. (معجم المصطلحات العلمية العربية/ الكندى والفارابى والخوارزمى وابن سينا والغزالى/ دار الفكر المعاصر بيروت/ ط١، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م/ ٢٠١)

٨. تطور الفكر العلمي عند المسلمين/ د محمد الصادق عفيفي/ مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٦م- ١٩٧٧م/ ١٧٨)

٩. (مفاتيح العلوم/ الخوارزمي/ عني بتصحيحه ونشره للمرة الأولى سنة ١٣٤٢م/ إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة الشرق/ ٩٧)

١٠. القانون في الطب/ ابن سينا ت ٤٨٢ه/ وضع حواشيه محمد أمين الضناوي/ دار الكتب العلمية بيروت/ ط١، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م/ جـ٢/ ٢٤٨).

١١. رواد علم الطب في الحضارة العربية والإسلامية/ علي بن عبد الله الدفاع/ مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م/ ٧٥